مجلة كراسات تربوية
دورية سنوية محكمة تعنى بقضايا التربية
والتكوين المستمر
إشكاليات التوافق الدراسي وبرنامج المواكبة التربوية :
البيداغوجية والنفسية والإجتماعية
العدد الأول شتنبر 2014

مجلة كراسات تربوية
دورية علمية مغربية محكمة متخصصة في سوسيولوجيا التربية

إشكاليات التوافق الدراسي وبرامج المواكبة التربوية

العدد الأول(01)، شتنبر 2014

مجلة كراسات تربوية

- **العدد الأول (01)**، شتنبر 2014.

- **المدير ورئيس التحرير:** الصديق الصادقي العماري

majala.korasat@gmail.com

+**212664906365**

- **الإيداع القانوني :** 2014PE0081

ISSN: 2508-9234

مطبعة بنلفقيه -زنقة الحرية، مدينة الرشيدية-المغرب

- **الهاتف : 05.35.57.32.31**

البريد الإليكتروني : ta_lalet.bureaux@yahoo.fr

مجلة كراسات تربوية

دورية سنوية محكمة تعنى بقضايا سوسيولوجيا التربية

العدد (01)، شتنبر 2014

المدير ورئيس التحرير

ذ. الصديق الصادقي العماري

هيئة التحرير

ذ. مصطفى بلعيدي	ذ. عبد الإله تنافعت
ذ. صالح نديم	ذ. محمد الصادقي العماري
ذ. بوجمعة بودرة	ذ. مصطفى مزياني

اللجنة العلمية

د.محمد الدريج	علوم التربية
د.الحسن اللحية	علوم التربية
د.محمد فاوبار	علم الاجتماع
د.عبد الرحيم العطري	علم الاجتماع
د.عبد الغاني الزياني	علم الاجتماع
دة.عزيزة خرازي	علم الاجتماع
د.محمد أبخوش	الفلسفة

للتواصل أو المشاركة بأبحاثكم ودراساتكم:

Majala.korasat@gmail.com

+212648183059

الفهرس

المحتويات	الصفحة
تقديم .....ذ. الصديق الصادقي العماري..... .....ال**مدير ورئيس تحرير**.....	01
المواكبة التربوية، نحو تأسيس نموذج/منظومة لتجويد التعليم ومحاربة الهدر المدرسي. .....د. محمد *الدريج*.....	04
لماذا التدريس بالوضعية المشكلة؟ .....د.الحسن اللحية.....	36
المدرس ونظم العمل في مجال الإرشاد النفسي المدرسي. .....ذ. الصديق الصادقي العماري.....	52
العنف لإنهاء العنف في الوسط المدرسي أو سطوة التردي. .....د. عبد الكريم الفرحي.....	75
التربية دعامة مركزية لتحقيق التنمية. **قراءة في كتاب: "التربية والتنمية وتحديات المستقبل: مقاربة سوسيولوجية".** لصاحبه الأستاذ: **الصديق الصادقي العماري.** .....ذ. مصطفى مزياني.....	96
التربية والتنمية والحرية، ثلاث مقاصد للتعليم الراشد. .....د. عبد الباسط المستعين.....	105
النموذج التفاعلي في مجال التوجيه التربوي: **أي دور لعناصر المحيط في بناء الاختيار الدراسي والمهني.** .....ذ. محمد حابا.....	125
أزمة القراءة في المؤلفات النقدية. .....د. عبد الإله تنافعت.....	132
المسرح المدرسي علاج فعال لظاهرة العنف .....ذ. نديم صالح.....	143
فاعلية الذات وجودة الأداء المهني لدى مربي مراكز حماية الطفولة. .....د. كوثر الشرادي.....	154

التربية والتنمية والحرية، ثلاث مقاصد للتعليم الراشد

د. عبد الباسط المستعين

تقديم:

إن أهمية التعليم في حياة الشعوب والأمم يدركها الجميع تماما كما يدركون المكانة التي لا يحسد عليها التعليم ببلادنا، والذي تكشف أهواله التقارير الدولية التي تصنفنا في ذيل قوائمها. الجميع يقر بوجود أزمة خانقة ومعقدة تنخر تعليمنا. الجميع ينادي بتفادي غرق السفينة والانخراط في مسلسل "إصلاح" الأزمات المتعاقبة بتعاقب الليل والنهار. وأمام الإقرار بهذا الداء، ما يمنعنا من تشخيص طبيعته وتحديد أسبابه، من أجل وصف الدواء بدقة وتقديم العلاج المناسب؟

هنا تبرز زوايا النظر المختلفة ونوع القيم والمبادئ المرجعية، وربما أيضا المصالح المختلفة، فتأتي الإجابات متباينة، بل ومتضاربة، ومنها التي تسعى إلى تأمين مكانة من هو في مكانه وليس الاستجابة لحاجيات المجتمع وتلبية انتظاراته. ومن تم تكمن صعوبة معالجة هذا الموضوع وتصبح متعذرة إذا لم نستحضر ثلاث معطيات:

ـ **أولا:** أن أزمة التعليم ذات جذور تاريخية عميقة تعود لعقود من الزمن، بل أعمق في غياهب التاريخ، مما يتطلب إعادة تقليب وقراءة فترات طويلة من مسار أمتنا وإزالة ما لطخها من أدران والكشف عن كثير من جوانبها المظلمة مع بعث ما طُمر أو انطمر من محاسنها.

ـ **ثانيا:** أن أزمة التعليم مركبة ولا يمكن وضع حد لها إلا بإصلاح البيئة التي انبثقت منها، أي أن مشاكل التعليم لن تنتهي إلا

بحل باقي المشاكل التي تتخبط فيها الأمة على المستوى القيمي والسياسي والاقتصادي وغيره.

ـ **ثالثا:** أن معظم مبادرات الفاعلين التربويين، وهيآت المجتمع المدني، وصناع القرار، لم تتجاوز بعد التصفح السطحي والاقتراحات التجزيئية للقضايا، وتتجاهل المعالجة الشمولية عنادا أو إمعانا في ترسيخ واستدامة عمر الأزمة، أو استثقالا لمستلزمات التغيير المنشود.

من خلال هذه الورقة، سنميط اللثام عن ثلاث حلقات كبرى نعتبرها الجهاز العصبي الموصل لنبض وحركة التعليم وفق مقاربة تقف عند الإشارة إلى المبادئ الكبرى والخطوط العريضة التي ينبني عليها تصورنا لجودة التعليم حالا ومستقبلا؛ إذ الحديث عن الجزئيات والبرامج التفصيلية لا يعدو أن يكون انشغالا بالأعراض عن مصدر الداء.

يختلف إذا الدواء الموصوف وطرق العلاج المقترحة، وبالنسبة لنا؛ فإننا لا نتصور ترياقا شافيا أو حلا ناجعا ما لم ينبثق من رحم ديننا الحنيف ويتلاءم مع خصوصيتنا وأصولنا ويسعى إلى النهوض بأمتنا من كبوتها التاريخية لتستعيد سابق مجدها وما اندرس من عزها.

فما هي الروافد الكبرى الأشد ارتباطا بالتعليم والحاملة لأهدافه والمؤثرة في نجاحه أو فشله، والكفيلة بوضع قطارنا التائه في سكته الصحيحة ووجهته السليمة؟

التعليم والتربية والعلاقة الحميمية:

إن نجاح التعليم لا يقتصر على حشد الأذهان بالمعارف والمعلومات وتطوير الكفاءات والمهارات، وإنما يتجاوز ذلك إلى بناء شخصية الفرد والتأثير في إحساسه ووجدانه وسلوكه وتصرفاته ومعاملاته، أي أنه ينمي في المتلقي بشكل مباشر وغير مباشر، سلبا وإيجابا، مجموعة من الآداب والقيم، كما يودع في خلجات نفسه بعض المشاعر ويسرب إلى فكره جملة من المبادئ والتصورات تعده لانتحال صفات خلقية مرغوبة واتخاذ مواقف مأمولة. ومن تم يساهم في إعداد أفراد المجتمع وفق مواصفات معينة: "تسعى المدرسة إلى

إكساب المتعلمين نماذج سلوكية قويمة تمكنهم من التفاعل مع الآخرين بشكل يمكنهم من الاندماج داخل المجتمع، بعيدا عن كل تعصب وإقصاء وتهميش، والوظيفة التربوية تنطلق من تهذيب النفس وتحقيق الاستقرار والتوازن الاجتماعيين..."[1].

لذلك تعد التربية من صميم مخرجات التعليم، وتنصب على وجدان المتعلم وشعوره، وعلى أخلاقه وسلوكه وتصرفاته في مجتمعه وتفاعله مع محيطه، "ولا سبيل إلى بناء الإنسان إلا عن طريق التربية التي تقوم على تطوير الشخصية الإنسانية وإعادة بنائها، كما تعمل التربية على إيجاد أنماط من السلوك تناسب التنظيمات الاجتماعية الناشئة عن الأخذ بالأساليب العلمية والتكنولوجية، كما تعيد التربية بناء الآراء والمعتقدات لتواكب التغيرات الاجتماعية..."[2].

هذه المعايير/ المخرجات/ الرزنامة التربوية هي التي تعد رجالا للمستقبل لا يحتاجون إلى دعوة إلى "تخليق" الإدارة أو الحياة العامة، والتي لا تعدو أن تكون صيحة في واد ما لم تنغرس معانيها في مراحل الطفولة.

وفلسفة التربية من منظور إسلامي "تنبثق من العقيدة الإسلامية التي هي عقيدة التوحيد، والنظرة الإسلامية للكون والإنسان والحياة، التي ينظمها مبادئ الخلق الهادف، والوحدة، والتوازن، حيث التأكيد على أهمية الإيمان بالله، الخالق للكون والإنسان والحياة، وأهمية مبدأ الوحدة في تعزيز النظرة التوحيدية للكون، وطبيعة الإنسان والحياة الدنيا والآخرة، وأخيرا أهمية مبدأ التوازن في التعامل مع الوجود المادي، والبشري، والحياتي. وينعكس ذلك كله على العملية التربوية والتعليمية في جميع مراحلها... حيث يكون تعليما هادفا لتعزيز الإيمان بالله، خالق الكون والإنسان والحياة، وتعليما توحيديا للمعرفة

1-الصديق الصادقي العماري، "التربية والتنمية وتحديات المستقبل. مقاربة سوسيولوجية" مطبعة بنلفقيه ـ الرشيدية ـ الطبعة الأولى -2013ص 43.

2- م ن. ص 60.

الشرعية والكونية، بمصدريها الوحي والكون، وتعليما متوازنا، يوازن بين النظرية والتطبيق، والنفع الخاص والعام، ومصلحة الفرد والمجتمع والإنسانية على وجه العموم"[1]. كما تصبو التربية وفق قيم الإسلام إلى "تنمية العقل الإنساني وتدريبه على التفكر والتفكير والتدبر... وغايتها تزكية النفس البشرية لتفجير طاقاتها الخيرة وتحقيق سموها..."[2].

والتربية بهذا المعنى الفسيح تمتد إلى فلسفة وجود الإنسان، وتعمل على إعادة صياغة كيانه، كما تعيد تشكيل ذهنه ليستقيم ونظرته للكون والحياة والإنسان، فتظهر ضرورة تكامل "الوحي الكلي والعقل الجزئي في بناء المعرفة الإنسانية في مختلف المجالات، وجعل النظر العقلي والبحث العلمي يستنير بنور الوحي وغاياته ومقاصده..."[3].

من هنا تكون أسمى مرامي التعليم أن يرسخ قيم الإيمان والتعاون والتآخي والمواطنة الفاعلة وحب الخير للناس وإيثار المصلحة العامة، وما إلى ذلك من شيم الصلاح التي يحتاجها المرء في علاقته بالآخر، فضلا عن قيم الاستقامة والمثابرة والجد والاجتهاد والإخلاص وسلامة القلب من الغل والحسد والغش، وغيرها من مطهرات النفس البشرية من أدرانها الخلقية التي تصيب بلظاها الآخرين.

وجدير بالذكر أن الرسالة التربوية للتعليم لا يمكن حصرها في تلقين نظري يتلى على مسامع المتعلمين، وينتظم في مادة معينة موزعة عبر مجموعة من الحصص، كما هو معمول به بشكل تبركي في تعليمنا اليوم، بل هو قبل ذلك منهاج عملي وقدوة صالحة ونماذج حية يعيش معها المتعلم ويتأثر بحالها أكثر من مقالها، ويتشرب منها

---

1 ـ فرحان، إسحاق أحمد "رسالة الجامعة في بناء الشخصية الحضارية للأمة من منظور إسلامي" مجلة الجامعة ـ مجلة اتحاد جامعات العالم الإسلامي ـ العدد 3 ـ 2002 ـ ص 34.

2 ـ القاسمي، علي "الجامعة و التنمية" سلسلة المعرفة للجميع ـ العدد 27 ـ منشورات رمسيس ـ الرباط ـ 2002 ـ ص 87.

3 ـ عكيوي، عبد الكريم "التعليم العالي والمنظور الإسلامي للكون والحياة" مجلة الجامعة ـ مجلة اتحاد جامعات العالم الإسلامي ـ العدد 3 ـ 2002 ـ ص 437.

كل أصناف فضائل الأعمال ومحاسن الأخلاق قبل أن يتلقاها في شكل مجزوءات دراسية أو توجيهات ظرفية أو إنشاءات فلكلورية...

إن استئمان المدرس على فلذات أكباد الآلاف من الأسر التي يتعاقب أبناؤها على الامتثال بين يديه، يقتضي ألا يحصر العقد الذي يربطه بالقطاع الوزاري المشرف على التعليم مهامه في إنجاز حزمة من الدروس مؤطرة بجدول زمني محدد. ولا يكتفي تقييم المدرسين سواء في مباريات الالتحاق، أو أثناء الأداء المهني بالكفايات المعرفية؛ وإنما يجب أن يشمل أيضا حدا أدنى من المواصفات والممارسات الخلقية. فإذا كانت مهام المدرس تنصب بالأساس على التدرج بالناشئة من أوليات مراتب التعليم باكتساب مهارة القراءة والكتابة إلى أرقى درجات الضبط والتبحر والتعمق في علم من العلوم، أو إلى ذروة المهارة المهنية والخبرة العملية والتدريب الميداني، ويمر هذا الاكتساب عبر حجرات المدارس ومدرجات الجامعات والمختبرات العلمية ومحترفات التكوين المهني والأوراش التكنولوجية وغيرها؛ فإن هذه المكتسبات الجليلة تمر إلى المتعلم عبر شخصية الأستاذ والمكون. ومن غير الممكن تمريرها إلى العقول صرفة غير منقوعة بتوابل الصفات الخلقية لصاحبها.

وسواء بقصد أو غير قصد؛ فإن المتعلم، خاصة في السنوات الأولى إذ تكون شخصيته غضة طرية ومخيلته صفحة بيضاء ترتسم بها معالم أدنى احتكاك خارجي، يميل إلى اقتباس أهم المبادئ والتوجهات الخلقية الإيجابية منها والسلبية من مدرسه، إلى جانب الكفايات المعرفية.

يتبوأ المدرس مكانة سامية في نجاح أو فشل العملية التعليمية التعلمية التربوية. وإذا كان شرط الكفاءة العلمية ضروريا ليقوم بمهمته على أكمل وجه؛ فإن افتقاده للخصال الخلقية المحمودة من شأنه يرضع الأجيال التي تتعلم وتتربى على يديه ألبان الانحراف وكل الأمراض الخلقية التي تقض مضجع المجتمعات. وارتباطا

بمرجعيتنا الدينية، ينبغي للمدرس، بحاله ومقاله وسلوكه، أن يغرس في الناشئة بذور الإيمان والأخلاق الفاضلة ويبث فيها روح المثابرة والجد و الاجتهاد، و قيم الحوار و احترام الرأي المخالف والنزاهة والاستقامة، والعدل، ونبذ العنف والتمييز، و ينمي فيها ملكة التنظيم والتخطيط والمواظبة وضبط الأوقات و المواعيد؛ فضلا عن إرساء أسس تربية بيئية وبدنية و صحية سليمة...

وتبرز أهمية التربية في حقل التعليم في بث الحوافز الداخلية والدوافع الذاتية التي تجعل المتعلم يستجيب بشكل تلقائي للسلوك المطلوب، وهنا تحضر أهمية الأخلاق الإسلامية والتربية القرآنية والنبوية؛ إذ مثلا "لو التزم الإنسان بتوجيهات الإسلام، ونفذ أوامره واجتنب نواهيه، لتخلص من كل أسباب المشكلات البيئية، ولاختفت من الوجود"[1].

ومن مزايا هذه التربية أنها وإن لازمت المتعلم في المدرسة، فهي تستغرق "حياة الإنسان كلها... ولا تقتصر على مكان معين بذاته أو بلد مخصص بعينه... كما لا يضطلع بهذه المهمة شخص معين... ولا تتوقف التربية الشاملة عند حد كمي أو نوعي معين"[2]. ومن تم تبرز أهمية العالم في المسجد كمربي بالأساس، لا يمتد دوره التربوي للناشئة فحسب، بل يشمل عموم الناس بمن فيهم المدرس. وتتكامل في هذا الباب وظيفة العالم الذي يدل الناس، كبيرهم وصغيرهم، على الأحكام الشرعية وينير العقول بأوامر الوحي ونواهيه كما يوجه سلوك الأفراد لأقوم السبل ويغرس في القلوب بواعث التربية الإيمانية ومعاني السلوك إلى الله، من حلق ومنابر المساجد، مع مهمة المدرس

1- العالم الإسلامي والتنمية المستدامة (الخصوصيات والتحديات والالتزامات)- وثائق المؤتمر الإسلامي الأول لوزراء البيئة - منشورات المنظمة الإسلامية للتربية و العلوم و الثقافة - إسيسكو - مطبعة إليت - سلا - 2002 - ص 95.

2- الجامعة والتنمية. م س. ص 87.

باعتبارهما محور العملية التربوية الأخلاقية والتعليمية التعلمية بكل أبعادها.

مهمة حساسة وجسيمة، والنجاح فيها نجاح للمجتمع برمته، والعكس صحيح. وتكمن مخاطر هذه الأمانة التي تطوق أعناق المدرسين في بعض الخصال الفاصلة التي ينبغي توفرها، نذكر منها:

ـ تجسيد القدوة الحسنة:

التأثير بالقدوة أبلغ في التربية من بقية الوسائل. ولن تكتمل معالم الرسالة التربوية للتعليم ما لم تكن مضامينها مرسومة على أفعال وأقوال وأحوال المدرس. وفاقد الشيء لا يعطيه.

ـ اعتماد مبدأ المساواة بين المتعلمين:

من أمضى الأساليب التربوية تأثيرا معاملة المتعلمين على صعيد واحد في المكافأة والعقاب، وفي الأخذ والعطاء، وفي المنع والسماح، وما إلى ذلك. وكل خرق لهذه القاعدة يكون له وقع سيء على نفسية المتعلم ويدفعه لردود أفعال سلبية.

ـ إقرار النزاهة في التعامل والتقويم:

لا ينبغي للمدرس أن ينزلق مع من هم في عهدته من تلاميذ أو طلبة، في أي سن كانوا، أن يتبنى ازدواجية في معايير النقد والتجريح، والثناء والتحفيز، والتقريب والإبعاد. وأخطر مناحي التمييز التي يمكن أن تحدث شرخا في وجدان المتعلمين هي التي تظهر في تقويم التعلمات. والمنهج السليم هو التسلح بالشفافية والنزاهة ووحدة المعايير التي يتعاقد بشأنها مع الجميع وتنطبق على الجميع بدون استثناء.

ـ الإخلاص والتفاني في العمل:

من خوارم التربية التي تسيء إلى المدرس وتنعكس سلبا على المتعلم هي ظهور أمارات التقصير في الواجب، والاستهتار بالمسؤولية، وضعف المواظبة، والتواطؤ على المنكر.

من هنا تصبح التربية أهم رافد يصب في نهر التعليم، ومن دونها يجف ماؤه وتغور ينابيعه فلن ينبت أويثمر أو يزهر غير الأحراش والأشواك!!

التعليم والتنمية والعلاقة المصيرية:

من أكبر المهام الملقاة على عاتق التعليم الإسلامي الراشد إعداد المهارات القادرة على خوض الواقع المعيش واقتحام عالم الآلة والتصنيع والإنتاج وتدبير الثروات. ولأن العلوم في المجتمع الإسلامي مطية لتسخير المادة من أجل تحقيق المقاصد الإسلامية العليا في العمران الذي لن يستمد قوته من درجات تطوره مهما ارتقت في سلم النماء ما لم يعضض بتمتين وشائج المحبة والتكافل والتضامن بين أفراد الأمة انطلاقا من نواة المجتمع الصلبة التي هي الأسرة. وهذه المصلحة لا يمكن تحقيقها إلا بواسطة تعليم يكون شديد الصلة بالاقتصاد، يمده بحاجاته من الكفاءات، ويضع رهن إشارته نتائج البحوث والدراسات المساعدة على تطوير الإنتاج ووسائله، ويستمد منه الدعم والتمويل وتحديد مواطن الخصاص وسلم الأولويات. ولقد كان شعار ربط التعليم بمحيطه الخارجي وما يزال مطلبا عزيزا يتغنى به تعليمنا الفاشل على أبواب اقتصاد مشلول وفساد يغطي كل القطاعات.

ومعلوم أن نجاح التنمية مرآة تعكس المردود العلمي للأمم، و على مدى فعالية التعليم ونجاعته يتوقف نجاح التنمية، إن في بعدها الاقتصادي؛ بحيث "كلما ارتفع مستوى تعليم الفرد و تدريبه ارتفع تبعا لذلك دخله، وتحسن عطاؤه، و زادت فعاليته، وأثر ذلك تأثيرا إيجابيا في مسيرة التطور والنماء"[1]، أو بعدها البشري؛ إذ يساهم التعليم في "تنمية الموارد البشرية، تلك التنمية التي تتطلب الإعداد

1- سفر، محمود بن محمد "دور التعليم العالي في التنمية الإنتاجية" مجلة الجامعة ـ مجلة اتحاد جامعات العالم الإسلامي ـ العدد 3 ـ 2002 ـ ص 411.

والتدريب وتجديد التدريب"[1]، كما يعد "أهم عوامل التغيير الإيجابي التي تدخل على الثروة البشرية لتنمية مهاراتها، وصقل مواهبها، ولكسب ملكاتها من أجل التأهيل المتكامل"[2]، أو بعدها المستدام، "بضمان حصول البشر على فرص التنمية دون نسيان الأجيال المقبلة، و هذا يعني ضرورة الأخذ بمبدأ التضامن بين الأجيال عند رسم السياسات التنموية..."[3]. ولا يتوقع رفع الناتج الوطني الإجمالي لدولة ما إن كان تعليمها في الحضيض؛ بينما يأتي التعليم في صدارة مؤشرات التنمية البشرية إلى جانب المستوى المعيشي والصحي، فرفع مستوى التعليم "يزيد من دخل الفرد، ويعمل أيضا، على رفع مستواه الصحي والمعيشي إضافة إلى تأثير التعليم في عملية الإنتاج عن طريق تأهيل الموارد البشرية مهنيا وعمليا"[4]. وبذلك تكون "أولى مهمات التعليم أن يكون هادفا، لتوفير العلوم والمهارات والخبرات التي يحتاجها المجتمع في سوق العمل..."[5]. ويمكن للتعليم العالي مثلا أن يقوم بمهمته على أكمل وجه متى تحلى بالشمولية والدينامية والترابط ونمى قدرته التنافسية، واستطاع التأقلم مع المتغيرات و التحديات التي تواجه الفرد والمجتمع، وتمكن من الاستجابة لاحتياجات التنمية وسوق العمل وتفاعل بشكل مستمر معهما[6].

1 ـ الجامعة والتنمية. م س. ص 97.
2 ـ دور التعليم العالي في التنمية الإنتاجية. م س. ص 411.
3 ـ العالم الإسلامي و التنمية المستدامة.م س. ص 125.
4 ـ منفيخي، محمد فريز "البحث العلمي الجامعي وقطاعات الإنتاج والتنمية" مجلة الجامعة ـ مجلة اتحاد جامعات العالم الإسلامي ـ العدد 2 ـ 2000 ـ ص 222.
5 ـ البحث العلمي الجامعي وقطاعات الإنتاج والتنمية. م س. ص 216.
6 ـ العيسى، محمد سليمان "سبل ووسائل تعزيز التفاعل بين الجامعة والقطاع الصناعي" مجلة الجامعة ـ مجلة اتحاد جامعات العالم الإسلامي ـ العدد 2 ـ 2000 ـ ص 108.

ومن أولويات التعليم الجامعي أيضا "حل المشكلات التي تواجه عملية التنمية"[1]، فضلا عن كونه يحظى بدور متميز في "إحداث التنمية وضمان استمراريتها"[2].

ولا يمكن الحديث عن التنمية دون حديث عن البحث العلمي الذي يعتبر المهمة الأساس للمعاهد المتخصصة ومراكز الدراسات، وبشكل أخص الجامعات التي "تضع برامج وخططا تعليمية، وتعد أبحاثا تسهم بفاعلية في دفع عجلة التنمية، وتشارك بشكل جاد وفاعل في بناء الإنسان، وبناء الوطن"[3].

ويلتقي التعليم بالتنمية الشاملة في اهتمامهما بالإنسان[4] الذي هو "عماد الأمة ومحور تقدمها، فهو يسهم في تنمية مواردها وتطوير مرافقها وخدماتها، ولكنه هو الوسيلة والغاية، من حيث كونه مشاركا في الإنتاج والتنمية، وفي الوقت نفسه من حيث كونه غاية هذا الإنتاج وتلك التنمية. فلولا الإنسان لما استغلت الثروات الطبيعية، ولما سخرت الطاقات ولما استخدمت الأجهزة والآلات، وحري بنا أن نتذكر أن الإنسان ليس مجرد منتج للبضائع والخدمات، وإنما هو كائن من لحم ودم، له مشاعره، وأحاسيسه، وله آماله وطموحاته، وليس لكائن من كان أن ينكر على الإنسان حقه في العيش بكرامة"[5].

ويمكن النظر إلى التنمية على شكل هرم "في قاعدة هذا الهرم هناك الإنسان، أي الأطر العلمية المؤهلة والمكونة تكوينا حديثا وعصريا،

1ـالبنا، بشير عبد العظيم " المقومات الأساسية لدعم تفاعل الجامعات لتحقيق التنمية الصناعية" مجلة الجامعة ـ مجلة اتحاد جامعات العالم الإسلامي ـ العدد 2 ـ 2000 ـ ص 49.

2ـكسناوي، محمود محمد عبد الله "توجيه البحث العلمي الجامعي لتلبية المتطلبات الصناعية" مجلة الجامعة ـ مجلة اتحاد جامعات العالم الإسلامي ـ العدد 2 ـ 2000 ـ ص 69.

3ـ سعد الدين، محمد منير "أزمة البحث العلمي في الجامعات الإسلامية" مجلة الجامعة ـ مجلة اتحاد جامعات العالم الإسلامي ـ العدد 3 ـ 2002 ـ ص 350.

4ـ توجيه البحث العلمي الجامعي لتلبية المتطلبات الصناعية. م س. ص 69.

5ـ الجامعة والتنمية. م س. ص 95.

تتعامل مع العلوم الدقيقة وتتقنها وتمارسها وتدرسها، كما تتعامل مع التكنولوجيا الحديثة وتروضها من غير نقص. وهذا هو المنطلق لحصول تنمية لها دلالة.

على إحدى واجهات الهرم، نجد البحوث العلمية الأساس النظرية، والتي تكون أساس ومنبع الأفكار الجديدة والمخترعات الفريدة، والتي تمثل ذكاء ومستوى المعرفة والمهارات الابتكارية التي يجب تحريرها قبل أن تلحظ تقدما ملموسا.

على الواجهة الثانية للهرم، نجد البحوث التطبيقية والتي تستفيد من مخترعات وآراء وأفكار البحوث الأساس لتحويلها وترجمتها إلى منتجات استهلاكية. ولكن هذا يستلزم وضع خطة رائدة ودراسات للتنمية ودراسات أخرى للجدوى.

أما الواجهة الثالثة للهرم التنموي، فإنها تشكل الآليات التي وضعتها الحكومة [للدعم و التمويل والتحفيز]..."[1].

وإذا كانت التنمية الشاملة إحدى المقاصد الكبرى للتعليم الهادف، فإن ترقي مجتمع ما في سلمها وفرض وجوده في حلبة التنافس بين الأمم وفي مضمار السجل التاريخي للشعوب، من شأنه أن ينعكس إيجابا على مستوى التعليم، ومن تم نستنتج العلاقة الجدلية بين الجانبين، ولسنا في حاجة إلى ضرب أمثلة ببعض البلدان الأروبية والآسيوية وبأمريكا الشمالية لندرك مدى أهمية التعليم في رفع الشعوب إلى مصاف الدول المتقدمة ووضعها في سكة الريادة الحضارية. وقد أثبتت هذه العلاقة الأبحاث التربوية والاقتصادية والاجتماعية[2]، "ويذهب بعضهم إلى أنها علاقة علية (سببية)، أي أن

1- الرحمن، عطاء "البحث العلمي ضرورة حتمية للتنمية" مجلة الجامعة - مجلة اتحاد جامعات العالم الإسلامي - العدد 2 - 2000 - ص 278.

2- الجامعة والتنمية. م س. ص 97.

أحد طرفي العلاقة هو السبب وثانيهما هو النتيجة التي يؤدي إليها ذلك السبب، أو أن وجود أحدهما يتوقف عليه وجود الثاني ويتأثر به"[1].

ويعد العنصر البشري أهم مقومات التنمية الشاملة، وهو "أساس التنمية وأداتها، وهو أيضا غايتها، وهو في الوقت نفسه محور العملية التربوية."[2]. ومن شأن التعليم أن يساعد "المتعلمين على أن تكون لديهم المواقف والمهارات والمعارف اللازمة لاتخاذ قرارات مستنيرة، والتصرف على أساسها لتحقيق ما يعود على أنفسهم وعلى غيرهم بالفائدة الآن وفي المستقبل."[3].

إن الأساس المتين الذي ينبغي للتعليم الراشد الاستناد إليه في خدمة مجتمع العمران الأخوي هو تأهيل الاقتصاد ليصبح فاعلا ومتفاعلا مع المنظومة التعليمية. في غياب ذلك لن يكون للأمة الإسلامية وجودا وازنا في السوق الاقتصادية الدولية، ومن لم يتحرر من ربقة التبعية الاقتصادية فلن يطمح إلى التحرر من التبعية السياسية والثقافية وغيرها. ومن تم تبرز أهمية واستعجالية فرز النوابغ والكفاءات المتفوقة لتتصدر تأصيل العلوم وترويضها لخدمة الأهداف الإسلامية والمقاصد الإيمانية كمقدمة ضرورية لاغتنام تقنيات التصنيع مزاحمة للمتنافسين في الدنيا على قوام الكسب والقوة المادية.

التنمية الشاملة إذا، تعد رافدا مهما يمد التعليم بالرأسمال المادي ويستمد منه الرأسمال البشري. عنصران لا غنى لأحدهما عن الآخر.غير أن المفهوم الحقيقي للتنمية في الإسلام سيفقد توازنه إذا وقف على رجل واحدة، أي الجوانب الاقتصادية بمعزل عن الإنسان الذي تأبى فطرته أن يتحول إلى آلة صماء للإنتاج أو "حيوان اقتصادي" أقصى ما يطلب منه المهارة والرفع من مستوى

---

1 ـ نفسه.

2 ـالصديق الصادقي العماري، "التربية والتنمية وتحديات المستقبل ـ مقاربة سوسيولوجية". مطبعة بنلفقيه، الطبعة الأولى، الرشيدية، 2013، ص 61.

3 ـ م ن. ص 59.

المردودية، لأن هذا شق مادي فقط في إنسان خلقه الله تعالى من جسد وروح، أي أن التنمية لن تستقيم إلا برجل ثانية تتعلق برصيد المجتمع من الأخلاق و وازع القيم التي توجه السلوك و تضبط المعاملات بين الناس، سواء كانوا أفرادا أم مؤسسات، و نصيب المجتمع من التماسك وحظ أفراده من التكافل و التآزر فيما بينهم.

التنمية عند المسلمين عمران يتطلب تشمير السواعد لبناء قواعد الاستخلاف (استغلال فلاحي ـ صناعة ـ بنيات تحتية ...)، وأخوي ذا لحمة إنسانية، تنسجها المحبة والرحمة بخيوط الأواصر الناظمة لأفراد المجتمع، وتتضافر الجهود لكنس الظلم والتظالم وتوحيد الوجهة لتحقيق العبودية الكاملة لله تعالى بإقامة شعائره وحدوده.

العمران الأخوي مصير أمة، وأولوية تفرضها غثائية المسلمين اليوم وتكالب الأمم على ديارهم وتراثهم، وتبذير السفهاء من حكامهم للأموال في تشييد القصور وليالي المجون، ومواسم الفولكلور.... والسواد الأعظم يسبح في البؤس، ويتلهى بالتقارير الإعلامية والوعود الانتخابية.

التعليم والضرورة الحتمية لمطلب الحرية!!

التعليم قبل كل شيء تحرير للإنسان من كل الأغلال. تحرير لعقله من قيود الجهل والشعوذة والخرافة. تحرير لإرادته من الخمول والخور والكسل. تحرير لنفسه من الطيش والأهواء الدنية والأمراض القلبية. تحرير لسلوك الفرد من العبث والشرود والتسيب، إلى التخطيط والنظام وتحديد الوجهة والأفق ورسم الأهداف القريبة والمقاصد المتوسطة والغايات البعيدة.

التعليم إذا، تحرير لطاقات الإنسان كي ينطلق في الإبداع والابتكار والاجتهاد والتجديد. فهو تحرير للمدرس من أصنام الشهوات وأزلام يفرض تقديسها، ومناهج حصرية لا يقبل تخطيها. لا ينظر إلى مردوديته وعطائه؛ وإنما يقوم انطلاقا مما نفذ من المحدد في المناهج والمقررات، عوض محاسبته على النتائج والمخرجات.

وإذا كانت الحرية مطلبا ملحا في جميع أطوار التعليم؛ فإنها تزداد إلحاحا في المراحل الجامعية، إذ تعتبر "الحرية الأكاديمية للباحث العلمي، وخاصة الأستاذ الجامعي بمثابة الرئتين للجسم، وبدون هذه الحرية فإن البحث العلمي الجاد لن تقوم له قائمة، ولن يرى الباحث العلمي وعضو هيئة التدريس الجامعي أي استقرار في بلده. فالجامعة منظمة علمية أكاديمية ينبغي أن تكون دائما "متمتعة بالحرية في ممارسة شؤونها وتنظيم كيانها دون ضغط أو وصاية من الخارج ... وإذا فرضت قيود على التدريس أو الحرية الأكاديمية للجامعة، فإن التعليم الجامعي سينهار من أساسه ويترتب عليه ركود الحياة الفكرية الجامعية... والحرية الأكاديمية حرية لا تدور في فراغ وإنما تأخذ مضمونها الاجتماعي في المجتمع الذي قامت الجامعة لتعبر عنه ولتخدمه وتنهض به. و أي خروج عن المضمون الاجتماعي للحرية الأكاديمية ينبغي أن تعالجه الجامعة بنفسها ومن داخلها ومن خلال تنظيماتها الجامعية التي تقوم عليها"."[1] والحرية الأكاديمية تعني:

"حرية أعضاء الهيئة الأكاديمية في الجامعة من أساتذة وباحثين وطلاب في متابعة دراساتهم وتحديد أولويات أبحاثهم ومداها ونطاقها وإجرائها من دون تدخل خارجي ذي طبيعة سياسية أو فلسفية. وتعني الحرية الأكاديمية ضمنا أن التعبير عن الرأي العلمي ونشر نتائج البحوث لا يشكل أي خطر على حياة صاحبه ولا يعرضه للملاحقة الأمنية، ولا محاربته في رزقه"[2]. ومن مقتضيات هذه الحرية الأكاديمية بالجامعات "توفير الضمانات الكافية للأساتذة ضد الضغط والإرهاب أو التهديد بالفصل أو الطرد أو العقوبة. وأول ما تعنيه الحرية الأكاديمية "حرية الجامعة في اختيار نظامها وبرامجها، ونهاجها وطرائق التدريس، واختيار هيئة التدريس بها، كما تعني أيضا الحرية الأكاديمية عدم وضع قيود على ما تدرسه الجامعة، وما

1- أزمة البحث العلمي في الجامعات الإسلامية. م س. ص ص 363 - 364.
2- الجامعة والتنمية. م س. ص 114.

يقوله أو ينشره أساتذتها، أو ما يعبرون عنه من آراء علمية أو أكاديمية داخل الجامعة".[1] وحماية الجامعة من "التدخل الخارجي، بحيث تستقل في اتخاذ قراراتها المتعلقة بتنظيماتها الداخلية، وأمورها المالية، وتوظيف أطرها من أساتذة وإداريين، وقبول الطلاب، وتوزيعهم على الكليات والأقسام و التخصصات، وتنظيم الدروس والمحاضرات، وإجراء البحوث العلمية"[2]. ومن تمام الحرية في الجامعات، الابتعاد عن "التعصب الفكري الذي يتنافى مع الفكر الجامعي الموضوعي المنفتح، وأن تسعى لتنمية روح البحث والإبداع والابتكار واكتشاف آفاق جديدة للمعرفة الإنسانية"[3]. ومن حقوق الجامعة "حرية الشك في الحقائق القائمة، وحرية التساؤل عن دقة الممارسات الشائعة، وحرية إجراء البحث العلمي ومتابعته، لأن الحرية الأكاديمية ليست ترفا وإنما ضرورة لترقية حياة الإنسان. فجوهر الحقيقة هو الحرية كما يقول هيدجر، وتاريخ الإنسان هو تاريخ الحرية، كما لخصه علال الفاسي"[4].

حديثنا هنا عن تحرير التعليم كأولوية آنية ومستعجلة فيما بات يسمى بالدول النامية. أما الدول التي تحترم التعليم وأهله فليست بحاجة إلى درس الحرية.

تحرير التعليم في بلداننا يقتضي تخليصه من التبعية الاستعمارية، وتنقية دوائر القرار التعليمي من سدنتها، والتخلص من إملاءات الصناديق المالية الدولية واللوبيات الدبلوماسية والاقتصادية التي تتعارض نواياها مع مصالحنا.

تحرير التعليم يستوجب الرفع من مكانة المدرس وإغنائه عن السؤال بتوفير الشروط المادية اللائقة به ورفع كل أشكال الحيف

1 ـ أزمة البحث العلمي في الجامعات الإسلامية. م س. ص 364.
2 ـ الجامعة والتنمية. م س. ص 114.
3 ـ أزمة البحث العلمي في الجامعات الإسلامية. م س. ص 364.
4 ـ الجامعة والتنمية. م س. ص 115.

والظلم التي تلاحقه، وكوابيس الفاقة والعوز التي تؤرقه وإقرار تكافؤ حقيقي للفرص بين المدرسين، وتقدير تضحيات المتفانين منهم في أداء رسالتهم.

تحرير التعليم يقتضي أيضا جعل المقررات والاختيارات التعليمية شأنا عاما للأمة، ابتداء بالفاعلين التربويين مرورا عبر مختلف الشرائح الاجتماعية، ووصولا إلى الفاعلين السياسيين، لا جعله شأنا حكوميا تتقاذفه برامج الحكومات والأحزاب المتعاقبة على الحكم، أو رهنه جملة وتفصيلا بيد الدولة؛ حتى لا يتحول إلى "أداة لإعادة إنتاج الثقافة والنظام السائد"[1]. ولحفز الموارد البشرية بالجسم التعليمي، هناك من يقترح أن تكون المقاربات البيداغوجية "نتاج تعاقد بين

المنظومة التربوية وبين المدرسين والمؤطرين والمكونين وبينهم وبين المتعلمين، على أساس تخويل المزيد من الاستقلالية البيداغوجية للمدرس وحفزه على المبادرة والتجديد والاستباق في توظيف المقاربات البيداغوجية الملائمة والأدوات الديداكتيكية الناجعة، وإغناء العمل البيداغوجي بكل ما من شأنه تيسير التعلم والارتقاء الدراسي"[2]. والأولى إشراك كل مكونات المجتمع من فاعلين تربويين واقتصاديين ومجتمع مدني وعلماء وغيرهم في بلورة وتنفيذ اختيارات تربوية تنافسية يترسخ منها الأصلح، شريطة حماية المتعلم من المتاجرة والتوجهات الشاذة.

تحرير التعليم يتطلب جعل المتعلم في صدارة الاهتمام والإعلاء من مقامه، واستحضار رأيه، وقدراته، وظروفه، وبيئته، لا تحويله إلى بطارية شحن ومستودعا للمعلومات والمعارف، دون اعتبار لشخصه الجدير بالاحترام، ولا تحلية المقررات الدراسية بفسحة

1- التربية والتنمية وتحديات المستقبل. م س. ص 44.

2- المودني، عبد اللطيف "المقاربات البيداغوجية ومفارقاتها بين استقلالية المدرس وتنمية التعلمات" ضمن دفاتر التربية والتكوين - منشورات المجلس الأعلى للتعليم - العدد 2 - 2010 - ص 19.

للإبداع والتألق، واحتضان الكفاءات وتوجيه الميولات وغرس المُثل والقيم. كما بإمكان المدرسة أن تساهم في تنمية الممارسة الديمقراطية كمجتمع مصغر "لا عن طريق تعليم موضوعات التربية المدنية والوطنية وحقوق الإنسان وأمثالها فحسب، وإنما كذلك عن طريق تنمية الروح الديمقراطية في التلاميذ، لأن الديمقراطية سلوك وأسلوب حياة قبل أن تكون سياسة ونظام حكم. ينبغي للمدرسة أن تكون مؤسسة ديمقراطية في تعاملها مع التلاميذ، وفي علاقة أفرادها بعضهم ببعض، بحيث يتعود الناشئة على احترام حرية التعبير، وتقبل الاختلاف في الرأي، والاستماع إلى الرأي الآخر، وممارسة

الحوار الهادئ المثمر، ونبذ التمييز بمختلف أنواعه، واكتساب قيم الحق والعدل والمساواة، فيمارسون الديمقراطية في المنزل والعمل وجميع مرافق الحياة."[1].

التعليم المجدي النافع بالجملة تحرر من كل القيود السياسية الداخلية منها والخارجية، وإكراهات واقع الاستبداد والفساد التي تقتل في العقل البشري بذرة الإبداع وتكتم أنفاس الاجتهاد. وهو تحرير للعقول من الجمود والتقليد لمعانقة الإبداع؛ فما أحوجنا اليوم إلى التخلص من قيود التقليد الأعمى والاعتصام الأصم باجتهادات السابقين دون تمحيصها أو استحضار السياق الزماني والظروف السياسية والتاريخية التي أفرزتها، أوالنسج على منوالها بالرجوع إلى الأصل الذي استندت إليه. وما أحوجنا أيضا إلى تحرير الإرادات من قيود الاختيارات التي تكبل تطلعها للسمو والتألق.

الحرية إذا، مطلب حتمي يصب في مصلحة الناشئة والمدرسين والمجتمع برمته. ولا يمكن تصور أدنى مردود لتعليم تحيط به الأسلاك الشائكة من كل جانب، وترسم فيه حدود العطاء، وتصادر فيه طموحات الابتكار. لابد للتعليم أن يخرج الأحرار المستقلين

1- الجامعة والتنمية. م س. ص ص 148 - 149.

بإراداتهم عن آليات "التصنيع" النمطي والتحنيطي للإنسان في سلوكه وطريقة تفكيره وأسلوب عيشه وهواياته... والحرية في ظل العبودية لله عز وجل وحدها الكفيلة باستثمار ما أودع الله تعالى في عقول عباده من أسرار، ولا يمكن تكرار مشكلة مأسسة الجمود والاقتيات على أفكار مظروفة بظرفها. كل ذلك من المهام الجليلة التي ينبغي أن ينهض بها التعليم الراشد المرشد.

خاتمة:

يمكن القول بأن التعليم الراشد، في تصورنا، يستهدف الإنسان لتنويره بالمعرفة، ويتجه صوب نفس المتعلم ليهذبها ويوجهها ويسمو بها إلى العلياء في فضاء الإيمان والأخوة والمحبة والفضيلة. ولن يجدي هذا التعليم نفعا ما لم يقترن بواقع المجتمع وتلبية حاجاته التنموية، المادية والمعنوية، الآنية والمستقبلية. وتكتمل أركان الرشد في هذا التعليم بالسعي إلى تخليص إرادة المتعلم وتحرير كينونته من آفة القيود المتوارثة والمفروضة لتحلق في سماء الإبداع.

إن ما سبق ذكره من مواصفات البيئة التعليمية كشرط لازم لتعليم إسلامي راشد وناجح ومجد و نافع، لا يمكن الحديث عنه خارج سياق عام لتغيير شامل لكل مناحي الحياة، سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وأخلاقيا، تكون فيه الأهداف السامية للتعليم مرتبطة بمجتمع العمران الأخوي خادمة لها و متكاملة معها.

المراجع:

1.(إسيسكو) العالم الإسلامي و التنمية المستدامة (الخصوصيات و التحديات و الالتزامات) ـ وثائق المؤتمر الإسلامي الأول لوزراء البيئة- منشورات المنظمة الإسلامية للتربية و العلوم و الثقافة ـ إسيسكو ـ مطبعة إليت ـ سلا ـ 2002.

2.البنا، بشير عبد العظيم " المقومات الأساسية لدعم تفاعل الجامعات لتحقيق التنمية الصناعية" مجلة الجامعة ـ مجلة اتحاد جامعات العالم الإسلامي ـ العدد 2 ـ 2000 ـ ص ص 45 ـ 59.

3.الرحمن، عطاء "البحث العلمي ضرورة حتمية للتنمية" مجلة الجامعة ـ مجلة اتحاد جامعات العالم الإسلامي ـ العدد 2 ـ 2000 ـ ص ص 277 ـ 278.

4.سعد الدين، محمد منير "أزمة البحث العلمي في الجامعات الإسلامية" مجلة الجامعة ـ مجلة اتحاد جامعات العالم الإسلامي ـ العدد 3 ـ 2002 ـ ص ص 338 ـ 378.

5.سفر، محمود بن محمد "دور التعليم العالي في التنمية الإنتاجية" مجلة الجامعة ـ مجلة اتحاد جامعات العالم الإسلامي ـ العدد 3 ـ 2002 ـ ص ص 405 ـ 426.

6.الصديق الصادقي العماري، "التربية والتنمية وتحديات المستقبل -مقاربة سوسيولوجية-" مطبعة بنلفقيه ـ الرشيدية- الطبعة الأولى ـ 2013.

7.عكيوي، عبد الكريم "التعليم العالي و المنظور الإسلامي للكون و الحياة" مجلة الجامعة ـ مجلة اتحاد جامعات العالم الإسلامي ـ العدد 3 ـ 2002 ـ ص 427 ـ 442.

8.العيسى، محمد سليمان "سبل و وسائل تعزيز التفاعل بين الجامعة و القطاع الصناعي" مجلة الجامعة ـ مجلة اتحاد جامعات العالم الإسلامي ـ العدد 2 ـ 2000 ـ ص ص 107 ـ 115.

9.فرحان، إسحاق أحمد "رسالة الجامعة في بناء الشخصية الحضارية للأمة من منظور إسلامي" مجلة الجامعة ـ مجلة اتحاد جامعات العالم الإسلامي ـ العدد 3 ـ 2002 ـ ص ص 33 ـ 45.

10.القاسمي، علي "الجامعة و التنمية" سلسلة المعرفة للجميع ـ العدد 27 ـ منشورات رمسيس ـ الرباط ـ 2002.

11.كسناوي، محمود محمد عبد الله "توجيه البحث العلمي الجامعي لتلبية المتطلبات الصناعية" مجلة الجامعة ـ مجلة اتحاد جامعات العالم الإسلامي ـ العدد 2 ـ 2000 ـ ص ص 61 ـ 84.

12.منفيخي، محمد فريز "البحث العلمي الجامعي و قطاعات الإنتاج و التنمية" مجلة الجامعة ـ مجلة اتحاد جامعات العالم الإسلامي ـ العدد 2 ـ 2000 ـ ص ص 215 ـ 229.

13.المودني، عبد اللطيف "المقاربات البيداغوجية و مفارقاتها بين استقلالية المدرس و تنمية التعلمات" ضمن دفاتر التربية و التكوين ـ منشورات المجلس الأعلى للتعليم ـ العدد 2 ـ 2010 ـ ص ص 16 ـ 20.